من علامات الحاجة له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وعبيدا هذا تقرير لغناه وتحقيق
لمالكيته لكل ما سواه وهذا نظير قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ولما نزه
الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى ان اى
ما عندكم من سلطان اى حجة بهذا اى بهذا الذى تقولونه يعنى انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة
فمن في من سلطان زايدة لتاكيد النفى وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل الظرف
لاعتماده على النفى وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما
فى عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ما عندكم فى هذا القول سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة
فى الالزام والافحام ثم بالغ فى الانكار عليهم بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون يعنى اتقولون
على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير
حجة ولا برهان وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من برهان قطعى
والتقليد فيها غير جايز قل ان الذين يفترون على الله الكذب اى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون
على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون له ولدا لا يفلحون اى لا ينجون من النار ولا يسعدون
بالجنة ولا يفوزون بها وان اغتروا بطول السلامة والبقاء فى النعمة قال الزجاج هذا وقف تام
يعنى على قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى متاع فى الدنيا وفيه اضمار تقديره لهم متاع فى الدنيا
يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا وهى ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب
والحاصل قوله متاع خبر مبتدا محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حصول
او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم متاع فى الدنيا وتمتع به وليس بافلاح ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم تخصيصه بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا نعمة الله
عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله ولما ذكر الله تعالى فى هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا
عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع اممهم ليكون فى
ذلك لرسول الله تسلية واسوة بمن سلف من الانبياء ليحقق عليه ما يلقى من اذى قومه وان
الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى للكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا
كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم
كفرا وجحودا فذكر الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش
فقال تعالى واتل اى اقرأ يا محمد عليهم اى على قومك نبأ نوح اى خبر نوح مع قومه ليتزجروا
بذلك عما هم عليه من الكفر والطغيان اذ قال لقومه الكفرة وهم بنو قابيل واذ ظرف
لنبأ لا لاتل لانه مستقبل واذ داخل على الماضى ان كان كبر عليكم اى ثقل وشق
عليكم مقامى نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى ولبثى بينكم مدة مديدة او قيامى
على الدعوة وتذكيرى بآيات الله اى وعظى اياكم بحججه وبيناته فعزمتم على قتلى وطردى وجواب
الشرط محذوف اى فافعلوا ما شئتم وقوله فعلى الله توكلت قائم مقامه ودال عليه فكانه قال الا ابالى
بتهديدكم لانى توكلت على الله وقيل معناه ان كان ثقل عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه السلام اقام
فيهم

فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويذكرهم بآيات الله وقال ابو البقاء وجواب الشرط
غير محذوف بل هو قوله فعلى الله توكلت اى فوضت امرى الى الله ووثقت به لا بغيره فهو حسبى
فاجمعوا امركم عطف على قوله فعلى الله توكلت على قول ابى البقاء ولكن يرد عليه انه عليه السلام
كان متوكلا على الله تعالى دايما كبر عليهم مقامه او لم يكبر ومع هذا يلزم عليه عطف الانشاء على
الاخبار والمعنى فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم
فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه تخصيصه اعزموا على امركم الذى تريدون بى من السعى فى
هلاكى واجتهدوا فيه على اى وجه يمكنكم قرأ نافع فاجمعوا بالوصل من الجمع والباقون بالقطع من
الاجماع وهو العزم وشركاءكم الواو بمعنى مع اى مع شركائكم ويؤيد النصب القراءة بالرفع عطفا على
الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد للفصل واسناد الاجماع الى الشركاء للجوامد على طريقة التهكم وقيل
انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به قال الاستاذ والمعنى وادعوا الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وبغيتكم على مطلوبكم
وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم على انها تضر وتنفع مع اعتقاده
انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو تبكيت وتوبيخ لهم ثم لا يكن امركم فى قصدكم بالطرد والاهلاك
عليكم غمة اى خفيا مستورا ولكن ليكن امركم ظاهرا مكشوفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم
اذا خفى وستر والتبس على الناس وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا للتوكله وعدم
المبالاة بهم وكلمة ثم للتراخى فى الرتبة ثم اقضوا الى اى ثم امضوا وادوا الى ذلك الامر الذى
تريدون بى من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم
اقضوا ما انتم قاضون وقرئ ثم افضوا بقطع الهمزة بالفاء اى انتهوا الى بشركم من افضى اذا انتهى
او ابرزوا الى من افضى ايضا اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون اى لا تؤخرون ولا تمهلونى فانى لست
مباليا بكم ولا يخفى ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل غاية القصوى ثم بين ان كل
ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والعرض الخسيس فقال فان توليتم اى فان اعرضتم
عن تذكيرى وقبول نصحى فما سالتكم من اجر على تبليغ الرسالة من جعل وعوض يوجب اعراضكم
وتوليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او فما سالتكم من اجر فعانى ذلك بتوليكم ان اجرى
اى ما ثوابى على الدعوة والتذكير الا على الله الكريم سواء امنتم وتوليتم وامرت ان
اكون من المسلمين يعنى انى امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه او لم
تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين المنقادين لحكم الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل
هذه الدعوة لا اخالف امره ولا ارجو غيره وهذا شان المومن الكامل ولذا فسر البغوى قوله من المسلمين
بالمومنين قوله فكذبوه اى فكذبوا نوحا واصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس
الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق الفاء فصيحة ومن معه
من المسلمين وكانوا ثمانين فى الفلك اى فى السفينة وجعلناهم خلائف اى وجعلنا الذين نجيناهم
معه فى الفلك سكان الارض خلفاء عن الهالكين بالغرق واغرقنا بالطوفان الذين كذبوا بآياتنا

ثلثة ارباع

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)